الباب الأول التمهيدي

وفيه ستّة فصول:

- الفصل الأول: تعريف القرآن.
- الفصل الثاني: الوحي، تعريفه، أنواعه وكيفياته.
- الفصل الثالث: فضائل القرآن، وآداب حَمْلِه وتلاوته.
- الفصل الرابع: عالمية القرآن وكونه منهجاً لحياة الإنسانية.
- الفصل الخامس: حِفْظ اللّه القُرآن من التحريف والتبديل.
- الفصل السادس: لمحة تاريخية عن علوم القرآن.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول:

تعريف القرآن وأسماؤه(*)

لقد سمّى الله ﷻ كتابَه باسْم: «**القرآن**» في (70) موضعاً من القرآن الكريم، منها قولُه تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: 82] وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]. . . فما هو الأصلُ الاشتقاقي لهذا الاسم، وما هو تعريفه في اللغة والاصطلاح؟

التعريف اللغوي:

اتفق العلماء على أن لفظ «القرآن» هو مصدر، وذهبوا فيه مذاهب، فهو عند بعضهم مهموز وعند بعضهم الآخر غير مهموز. فممّن رأى أنّه بغير همز الشافعي (ت 204هـ) والفَرَّاء (ت 207هـ)[1] والأَشْعَرِي (ت 324هـ)[2].

(*) للتوسّع في أسماء القرآن انظر: «**مقدمة تفسير الطبري**» 1/ 34، «**والبرهان**» للزركشي 1/ 370، «**والإتقان**» للسيوطي 1/ 143 – 163. النوع السابع عشر، معرفة أسمائه وأسماء سوره، و«**مفتاح السعادة**» لطاش كبري 2/ 355، علم معرفة أسمائه وأسماء سوره، و«**كشف الظنون**» لحاجي خليفة 1/ 89، «**وترتيب العلوم**» للمرعشي: 219، «**وأبجد العلوم**» للقنوجي 2/ 490، علم معرفة أسماء القرآن وأسماء سوره، وأسماء القرآن، مقال لحسن حسين في مجلة الأزهر، ج17، ع 9، عام 1345هـ/ 1946م. «**وعلوم القرآن**» للعتر 1/ 10، «**والهدى والبيان في أسماء القرآن**» لصالح البليهي، «**رسالة جامعية**» من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1400 هـ، (وانظر: **معجم مصنفات القرآن**، لشواخ 3/ 268).

(1) الفرّاء هو أحد نحاة الكوفة، وأئمتها المشهورين في اللغة، واسمه يحيى بن زياد الديلمي، ويكنى أبا زكريا، له كتاب في معاني القرآن، توفي سنة 207 (انظر «**طبقات الزبيدي**» 143 إلى 146 و«**وفيات الأعيان**» لابن خلكان 2/ 228).

(2) هو الإمام أبو الحسن، عليّ بن إسماعيل الأشعري، الذي تُنْسَب إليه الطائفة الأشعرية. وكُتُبُه مشهورة في الردّ على المُبتدِعة من الجهْميّة والخَوارج والرَافِضَة، توفي سنة 324هـ (انظر «**وفيات الأعيان**» 1/ 326).

obeikandl.com

يقول الشافعي: إنَّ لفظ «القرآن» المُعَرَّف بـ(أَلْ) ليس مُشْتَقًّا ولا مَهْمُوزاً، بل ارْتُجِل وَوُضِع عَلَماً على الكلام المُنَزَّل على النبي ﷺ. فالقرآنُ عند الشافعي «لم يؤخذ مِنْ قرأتُ، ولو أُخِذَ مِنْ قَرَأتُ لكان كلُّ ما قُرِئَ قُرْآناً، ولكنّه اسم (للقرآن)، مثل (التوراة) و(الإنجيل)»[1].

ويقول الفرّاء: إنّه مُشْتَقٌّ منَ القَرائن، جَمْعُ قَرِينَةٍ؛ لأنَّ آياتِه يُشْبِهُ بَعْضُها بَعْضاً، فكأن بعضها قرينةٌ على بعض، وواضح أن النون في «قرائن» أصلية[2].

ويقول الأَشْعَرِيُّ وأقوامٌ يُتابِعُونَه على رأيه: إنّه مشتق من «قَرَنَ الشيءَ بالشيء» إذا ضمَّه إليه، لأنَّ السُّوَر والآيات تُقْرَن فيه ويُضَمُّ بَعْضُها إلى بعض[3].

والقول بعدم الهمز في هذه الآراء الثلاثة كافٍ للحكم ببعدها عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.

وممّن رأى أن لفظ «القرآن» مهموز: الزَّجّاج (ت 311هـ)[4] واللَّحْيَانِي (ت 215هـ)[5] وجماعة.

أ) يقول الزَّجّاج: إنَّ لفظ «القرآن» مهموز على وزن فُعلان، مشتق من القرْء بمعنى الجمع. ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنّه جمع ثمرات الكتب السابقة[6].

ب) ويقول اللَّحْيَاني: إنّه مصدر مهموز بوزن الغُفْران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر[7].

---

(1) «**تاريخ بغداد**» للخطيب 2/ 62.
(2) «**الإتقان**» للسيوطي 1/ 87.
(3) «**البرهان**» للزركشي 1/ 278.
(4) الزَّجّاج: هو إبراهيم بن السري، ويكنى أبا إسحاق، صاحب كتاب «**معاني القرآن**» توفي سنة 311 (انظر: «**إنباه الرواة**» للقفطي 1/ 163).
(5) اللَّحْيَانِي: هو أبو الحسن علي بن حازم، اللغوي المشهور المتوفى سنة 215، وقد أفاد ابن سيدَه من كتبه في تأليف «**المُخَصَّص**» (انظر: «**بغية الوُعاة**»، للسيوطي 2/ 185).
(6) «**البرهان**» للزركشي 1/ 278.
(7) «**الإتقان**» للسيوطي 1/ 87.

والأخير أقوى الآراء وأرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[1] [القيامة: 17-18].

والعرب في الجاهلية حين عرفوا لفظ «قرأ» استخدموه بمعنى غير معنى التلاوة، فكانوا يقولون: هذه الناقةُ لَمْ تَقرَأ سَلًى قَطُّ، يَقْصِدُونَ أنها لم تَحْمِل مَلْقُوحاً ولم تَلِدْ وَلَداً. ومنه قول عَمْرو بن كلثوم:

هِجانُ اللون لم تقرأ جنينا[2]

القرآن في الاصطلاح:

والقرآنُ في اصطلاح العلماء هو (كلامُ الله المُعْجِز، المُنْزَلُ على النبيِّ محمد ﷺ، المَكْتُوبُ في المصَاحِف، المَنْقُولُ عنه بالتَّوَاتُرِ، المُتَعَبَّد بِتِلاَوتِهِ). وتعريف القرآن على هذا الوجه مُتَّفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربيّة.

وقد اشتمل هذا التعريف على الصفات التالية للقرآن، وتعتبر في اصطلاح أهل التعاريف قيوداً تشمل المعرّف وتميزه عما عداه وهي:

أ ـ كلام الله ﷻ:

وتتضمن هذه الجملة أموراً نذكر منها:

1 ـ إبعاد كل كلام لغير الله تعالى ـ مهما كان عظيماً ـ عن أن يُسَمَّى قُرآناً، وسَوَاءٌ في ذلك حديثُ النبي ﷺ، أو غيرُه من الإنس والجِنّ والملائكة، فكل ذلك لا يُسَمّى قُرآناً.

2 ـ كلام الله هو صفته الكمالية، فكيف يكون القرآن كلام الله صفةً له وهو حادث بنزوله وكتابته وتلاوته، بينما صفات الله أزلية قديمة؟ وهذا التساؤل أثار مشكلة قديمة بين علماء المسلمين، وهي مشكلة «خلق القرآن» وانتهى القول عند أهل السنة والجماعة إلى أن القرآن قديم بمعانيه، حادث بألفاظه وكتابته، وبهذا يزول الإشكال.

ب ـ المُعْجِز:

الإِعْجاز هو تحدّي الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بمثل أقصر سورة منه، وهو

(1) ويرى بعض المفسّرين أن منه أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمٰن: 1-2] أي القراءة.
(2) «لسان العرب» 1/ 126.

أعظم خصائص القرآن، حتى لو عُرِّفَ القرآنُ بهذه الصفة: «الكلام المُعْجِز» لكفى ذلك لتمييزه والتعريف به.

والقرآن مُعْجِز بجُمْلَتِه، كما أنه مُعْجِزٌ بِأَيِّ سُورَة منه، ولو كانت هي أَقْصَر سُورَةٍ مِنْ سُورَهِ.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

وقال تبارَكَتْ أسماؤه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: 23-24].

وهذا الإعجاز برهان قاطع على أن القرآن كلام الله تعالى، وأنه الحق الذي يجب الإيمانُ به واتباعُه، والحذرُ من مخالفته وعصيانه.

جـ ـ المُنزل على نبيه محمد ﷺ:

احتراز عما أُنزِلَ على الأنبياء السابقين، كـ(التوراة) و(الإنجيل) و(الزبور) وغيرها، فلا يسمى شيء منها (قرآناً) وإن كانت مثله في أصلها قبل التحريف مُنزلة، لكن لكلٍّ واحد اسمٌ عُرِف به.

د ـ المكتوب في المصاحف:

وهذه مزية للقرآن أنه دُوِّن وحُفِظَ بالكتابة منذ عهد النبي ﷺ وبإشرافه واعتنائه الزائد.

ثم لما قام الصحابة بجمع القرآن في المصحف وكتبت المصاحف في عهد عثمان، أجمع الصحابة على تجريد المصحف من كل ما ليس قرآناً، وقالوا: جرّدوا المصاحف، فمَن ادعى قرآنية شيء ليس في المصاحف فدعواه باطلة كاذبة، وهو من المفترين على الله وعلى رسوله.

هـ ـ المنقول بالتواتر:

أي إن القرآن قد نقله جمع عظيم غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب ولا وقوع

الخطأ منهم صدفة، هذا الجمع الضخم ينقل القرآن عن جمع مثله وهكذا إلى النبي ﷺ، وذلك يفيد العلم اليقيني القاطع بأن هذا القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ.

وهذه خصوصية ليست لغير القرآن من كتب السماء. فإن الكتب السابقة لم يُتَحْ لها الحفظ في السطور ولا في الصدور، فضلاً عن أن تنقل بالحفظ نقلاً متواتراً جيلاً عن جيل.

أما القرآن فقد جعل الله فيه قابلية عجيبة للحفظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 17].

بل إن هذه الخصوصية، خصوصية حفظ القرآن في الصدور بلغت مبلغاً عجيباً، فهذه أمم العجم، تحفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً متيناً لا يتطرق إليه خلل ولا بكلمة واحدة، ولا تفريط في حكم تجويد، وتجد أحدهم مع حفظه هذا لا يدري من العربية شيئاً.

و ـ المُتَعَبَّدِ بِتِلاوَتِه:

أي إن مُجَرَّد تلاوة القرآن عبادة يثاب عليها المؤمن، ولو لم يكن استحضر نية تحصيل الثواب بالتلاوة، كما أن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة شي منه، وقد وردت نصوص كثيرة غزيرة في الحض على تلاوة القرآن وبيان فضلها وعظمة ثوابها، وألّف العلماء في ذلك كتباً كثيرة نافعة. وهذا القيد يخرج من اعتبار القرآن القراءات الشاذة، لأنا غير متعبدين بها، وكذا الأحاديث القدسية.

أسماء القرآن الكريم:

عرفنا أن لفظة (**القرآن**) هي أشهر أسماء القرآن الكريم، بل هي الاسم العلم الدالُّ على هذا الكتاب العزيز، وللقرآن الكريم أسماء أخرى كثيرة يشير كل منها إلى جانب من خصائص القرآن أو فضائله، أو أهدافه، وقد عُنِيَ العلماء بإحصائها واستقصائها وشرحها. ومن أسماء القرآن الكريم:

1 ـ «الكتاب»: وهذه المادة مأخوذة في أصلها من الكَتْبِ، أي الجمع، ومنه الكتيبة للجيش لاجتماعها، ثم أُطْلِقَتْ على الكتابة، لجمعها الحروف، وسمّي القرآن

بذلك لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة، كما ذكروا.

تسمية القرآن بهذين الاسمين: القرآن والكتاب: «إشارة إلى أن من حقّه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المُجْمَع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفّاظ بالإسناد الصحيح المتواتر[1].

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيّها بقي القرآن محفوظاً في حِرْزٍ حَريز، إنجازاً لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]، ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، فإن الله لم يتكفّل بحفظها، بل وَكَلَها إلى حفظ الناس فقال تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [سورة المائدة: 44]، أي بما طُلِبَ إليهم حفظه.

والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيءَ بها على التوقيت لا التأبيد وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادّاً مَسَدَّها ولم يكن شيء منها ليسدّ مَسَدَّه، فقضى الله أن يبقى حُجّة إلى قِيام الساعة، وإذا قضى الله أمراً يسّر له أسبابه، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 84].

ومن أسماء القرآن:

2 ـ «النور»: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 174].

ومناسبة هذه التسمية أن القرآن يكشف الحقائق ويجلوها ببيانه الناصع، وبرهانه الساطع، ويجعلنا ندرك غوامض الحلال والحرام، وما لا يستقل العقل بالتوصل إليه من علوم العقيدة والشريعة وغيرها.

---

(1) انظر: **«النبأ العظيم»** لمحمد عبد الله دراز، ص: 7 – 9.

3 ـ «**الفُرْقَان**»: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

ووجه هذه التسمية: أنه فرّق بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والحلال والحرام، والخير والشر، وذلك لغاية كماله في الهداية والبيان.

4 ـ ومنها «**الذكر**» ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 50]. وهو عربي خالص، ومعناه الشرف، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10].

5 ـ ومنها «**التنزيل**» ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: 192]، وهو عربي خالص كذلك يُشْعِر بأنّه وحي يوحَى، ويتنزّل على قلب الرسول الكريم.

وهذه الأسماء هي الشائعة المشهورة. غير أن بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن، حتى ذكر منها الزركشي (ت 794 هـ) خمسة وخمسين، نقلاً عن القاضي شَيْذَلَة (ت 494هـ)[1]. ولا ريب أنّه خلط فيها بين التسمية والوصف، فذكر مِنْ أسماء القرآن مثلاً «العلي» لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4][2]، ومنها «المجيد» لقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: 21][3]، ومنها العزيز» لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: 41][4]، ومنها العربي، لقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: 28][5]. وقد بلغ بعض العُلماء[6] بأسماء القرآن نَيْفاً وتسعين، فخلط بين الأسماء والصفات.

---

(1) شَيْذَلَة هو الفقيه الشافعي، أبو المعالي، عزيزي – بفتح العين – بن عبد الله، مؤلف «**البرهان في مشكلات القرآن**» توفي سنة 494 (ترجمته في «**وفيات الأعيان**» لابن خلّكان 1/ 318، و«**شذرات الذهب**» لابن العماد 3/ 401).

(2) انظر «**البرهان**» للزركشي 1/ 274.

(3) انظر م. ن 1/ 276.

(4) انظر م. ن 1/ 276

(5) انظر م. ن 1/ 275.

(6) وهو الحَرَّالِي، كما في «**البرهان**» 1/ 273. وينسب الحَرَّالِي إلى قرية من أعمال مرسية بالأندلس تسمى حَرَّالة – بالرّاء المضعفة – وهو علي بن أحمد بن الحسن التجيبي، ويكنى أبا الحسن، توفي سنة 647 («**النجوم الزاهرة**» لابن تغري بردي 6/ 317، و«**شذرات الذهب**» لابن العماد 5/ 189).